(١) سلسلة بحوث لغوية وقرآنية

دراسة لسورتى البقرة وآل عمران

اللتين ذكرتا فى الحديث الشريف
اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران ... إلخ

تأليف
أ.د / فاطمة محمد محجوب
أستاذ علم اللغة بكلية البنات
جامعة الأزهر سابقاً

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث   الجزيرة للنشر والتوزيع
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت : ٢٥١٢٠٨٤٧



سلسلة بحوث لغوية وقرآنية

(١)

دراسة لسُورتَىْ البقرةِ وآلِ عمرانَ

اللَّتَيْن ذُكِرَتا فى الحديثِ الشريفِ

«اقرأوا الزَّهْرَاوَيْنِ البقرةَ وآلَ عمرانَ... إلخ»

تأليــف

أ. د / فاطمة محمد محجوب

أستاذ علم اللغة بكلية البنات

جامعة الأزهر سابقاً

الناشــر

المكتبة الأزهرية للتراث - الجزيرة للنشر والتوزيع

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

ت : ٢٥١٢٠٨٤٧

رقــم الإيداع : ٩٩٩٣ / ٢٠٠٩

الترقيم الـدولي : ٩٧٨ – ٩٧٧ – ٣١٥ – ٢٢٣ – ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

يسعدنى أن أقدم للقارئ العربى سلسلة بحوث لغوية وقرآنية وهى عبارة عن سبعة بحوث وبيانها كما يلى :

١ – دراسة لسورتى البقرة وآل عمران اللتين ذكرتا فى الحديث النبوى الشريف «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران . . .» .

٢ – دراسة للسور التى وردت فى الحديث النبوى الشريف «شيبتنى هود وأخواتها . . .» بأوجهه المختلفة .

٣ – الصدق والكذب .

٤ – خصائص سورة هود .

٥ – الناس والزمان .

٦ – علم الحركة الجسمية فى القرآن الكريم .

٧ – أبواب القرآن السبعة .

والله أسأل أن يجعل هذه البحوث من العلم الذى يُنْتَفَعُ به وأن يتم علىَّ نعمته بنشرها فهو الذى بنعمته تتم الصالحات . وعلى الله قصد السبيل .

الأستاذة الدكتورة/ فاطمة محمد محجوب

أستاذ علم اللغة بكلية البنات .

جامعة الأزهر سابقا

(ا) دراسة لسورتى البقرة و آل عمران...

الحديث النبوى الشريف الذى نبنى عليه بحثنا هذا هو حديث رسول الله ﷺ الذى أورده الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه «الجامع الصغير»[1] ونصه كما يلى : «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه : اقرأوا الزهراوين : البقرة، وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيابتان، أو كأنهما فِرقان من طير صوافٌ يحاجَّان عن أصحابهما».

ثم أتبعه بحديث ثانٍ نصه كما يلى - وخص بالذكر سورة البقرة وحدها : «اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة» رواه أحمد فى سنده، ومسلم عن أبى أمامة الباهلى.

وقد أورد العلاّمة المناوى الحديثين كحديث واحد تحت الرقم (١٣٣٧) فى كتابه فيض القدير[2] وشرحها، وننقل الشرح فيما يلى :

(اقرأوا القرآن فإنه) أى القرآن (يأتى يوم القيامة شفيعاً) أى شافعاً (لأصحابه) بأن يتصور بصورة يراها الناس كما يجعل الله لأعمال العباد صورة ووزناً لتوضع فى الميزان فليعتقد المؤمن هذا أو شبهه بإيمانه لأنه لا مجال للعقل فيه (اقرءوا الزهراوين) أى النيرتين. سُمّيتا به لكثرة نور الأحكام الشرعية وكثرة أسماء الله تعالى فيهما أو لهديتهما

---

(١) الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى ١ / ٥٢ .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلاّمة المناوى ٢ / ٦٣، ٦٤ .

قارئهما أو لما يكون له من النور بسببهما يوم القيامة، والزهراوين تثنية الزهراء تأنيث أزهر وهو المضيء الشديد الضوء (البقرة وآل عمران) أوقعه بدلاً منهما مبالغة في الكشف والبيان كما تقول هل أدلُّكَ على الأكرم الأفضل؟ فلان لأنه أبلغ من أدلك على زيد الأكرم الأفضل لذكره أولاً مجملا ثم ثانياً مفصَّلا، وكما جعل علماً في الكرم والفضل جعلا علما في الإنارة، وفيه جواز قول سورة كذا وردّ على من كرهه فقال إنما يقال السورة التي يذكر فيها كذا (فإنهما يأتيان) أي ثوابهما الذي استحقه التالي العامل بهما (يوم القيامة) قال النووي: أطلق اسمهما على هذا الذي يأتي يوم القيامة استعارة على عادة العرب في ذلك (كأنهما غمامتان) أي سحابتان تظلاَّن قارئهما من حر الموقف وكرب ذلك اليوم المهول (أو غيابتان) مثنى غيابة بمثناه تحتية وهي ما أظلّ الإنسان. قال القاضي: ولعله أراد ما يكون له صفاء وضوء: إذ الغيابة ضوء شعاع الشمس (أو كأنهما فِرقان) بكسر فسكون أي قطيعان وجماعتان (من طير) أي طائفتان منهما (صواف) باسطات أجنحتها متصلا بعضها ببعض جمع صافة وهي الجماعة الواقعة على الصف وليست «أو» للشك كما وهم ولا للتخيير في تشبيه الصورتين كما ظن، ولا للترديد من بعض الرواة كما قيل لاتساق الروايات كلها على هذا المنهاج، بل هي كما قاله البيضاوي وبعض أئمة الشافعية للتنويع وتقسيم أحوال القارئين. فالأول لمن يقرأهما ولا يفهم معناهما: والثاني للجامع بين تلاوة اللفظ ودراية المعنى؛ والثالث لمن ضم إليهما تعليم المستفيدين وإرشاد الطالبين وبيان حقائقهما وكشف ما فيهما من الرموز والحقائق واللطائف عليهم وإحياء القلوب الجامدة وتهييج نفوسهم الخامدة حتى طاروا من حضيض الجهالة والبطالة إلى أمواج العرفان

واليقين. ذكره القاضى. وقال الطيبى: إذا تفاوتت المشبهات لزم تفاوت المشبه فى التظليل بالغمامة دون التظليل بالغيابة، إذ الأول عام فى كل أحد، والثانى يختص بمثل الملوك والثالث الرفع كما كان لسليمان عليه السلام (تحاجان) تدافعان الجحيم أو الزبانية. وقال القاضى تحاجّان عن أصحابهما بالدلالة على سعيه فى الدين ورسوخه فى اليقين والإشعار بفضله وعلو شأنه.

(اقرأوا سورة البقرة) قال الطيبى: تخصيص بعد تخصيص: عمَّ أولا بقوله اقرأوا القرآن وعلق به الشفاعة ثم خص الزهراوين وعلق بهما التخصيص عن كرب يوم القيامة والمحاجة؛ وأفرد ثالثا البقرة وعلق بها المعانى الثلاثة الآتية تنبيهاً على أن لكل منهما خاصيةً لا يعرفها إلا صاحب الشرع (فإن أخذها) يعنى المواظبة على تلاوتها والعمل بها بركة: أى زيادة ونماء (وتركها حسرة) أى نأسف على ما فات من الثواب (ولا تستطيعها البطلة) بفتح الباء والطاء: السحرة: تسمية لهم باسم فعلهم لأن ما يأتون به باطل، وإنما لم يقدروا على قراءتها لزيغهم عن الحق وانهماكهم فى الباطل. وقيل البطلة أهل البطالة الذين لم يؤهلوا لذلك ولم يوفَّقوا له أى لا يستطيعون قراءة ألفاظها وتدبّر معانيها لبطالتهم وكسلهم، أو المراد سحرة البيان من قوله إن من البيان لسحراً: أى أنهم لا يستطيعونها من حيث التحدى «فأتوا بسورة من مثله» وتمسك به من زعم أن القرآن مخلوق، قالوا لأن ما كان غمامة يكون مخلوقا، ورد بأنه جهل إذ القرآن غير جسم فتعيّن أن المراد بقوله كأنهما غمامتان أن ثوابهما يأتى قارئهما حتى يظله يوم القيامة وهذا لا غبار عليه.

تنبيه: قال القونوى قوله فى الحديث يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان إلخ: كناية عن أرواح صور الحروف والكلمات، فإنه قد ثبت شرعاً وكشفاً أن ما ثم صورةً إلا ولها روح فتارة تخفى آثار الروح فى الصورة بالنسبة لأكثر الناس، وتارة تظهر بشرط تأييد روح تلك الصورة بمدد يتصل من روح آخر، وصور الأعمال والأقوال أعراض لا ترتفع ولا تبقى إلا بأرواحها المصاحبة لها والمتأيدة بأرواح العمال ونيّاتهم ومتعلقات هممهم التابعة لعلومهم واعتقاداتهم الصحيحة المطابقة لما الأمر عليه، وللحروف والكلمات من حيث إفرادها ومن حيث تركيبها خواص تظهر من أرواحها بواسطة صورها تلفّظ وكتابة شهد بذلك الأولياء عن شهود محقق وتجربة مكررة (رواه أحمد فى مسنده، ومسلم) الصلاة (عن أبى أمامة) الباهلى[٣].

وفى بحثنا هذا نتناول بالتفصيل إن شاء الله تعالى خصائص كلٍّ من سورة البقرة، وسورة آل عمران (أى الزهراوين) لنتعرف على الأسباب التى من أجلها خصهما رسول الله ﷺ بالذكر فى الحديث النبوى الشريف الذى أوردنا نصَّه فى بداية البحث، والله ولى التوفيق.

---

(٣) انظر هامش (٢) سابقاً.

أولاً : سـورة البقـرة

سورة البقرة أطول سورة فى القرآن الكريم فقد استغرقت جزأين ونصف جزء، وعدد أجزاء القرآن جميعه ثلاثون جزءاً. ولذلك كان الرجل إذا حفظ سورة البقرة عظم فى أعين المسلمين. وهى أول سورة نزلت بالمدينة. وعدد آياتها (٢٨٦) آية وعدد كلماتها (٦١٢١) كلمة(٤).

ولأنها أطول سورة فى القرآن، فقد افتتح بالسبع الطوال فناسب البداءة بأطولها(٥).

وقد ابتدأت بالحروف المقطعة «الٓمٓ» وهى حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلَّف من حروف كالحروف التى يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، وهى مع ذلك تنطوى على تنبيه للاستماع لميز جرسها(٦).

وسورة البقرة من أجمع سور القرآن الكريم، وقد اشتملت على الأهداف الآتية :

١ - بيان أصول العقيدة وذكر أدلة التوحيد ومبدأ خلق الإنسان.

٢ - بيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن، وذكرت أنهم أصناف ثلاثة المؤمنون والكافرون والمنافقون.

---

(٤) أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن. د. عبد الله شحاته ١ / ١٥ .

(٥) تناسق الدرر فى تناسب السور للحافظ جلال الدين السيوطى ١ / ٦٤ .

(٦) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة التاسعة عشرة. القاهرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م / ٣ .

٣ - تعرضت السورة لتاريخ اليهود الطويل، وناقشتهم في عقيدتهم، وذكرتهم بنعم الله على أسلافهم وبما أصاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم عن تلقى دعوة الحق من أنبيائهم السابقين وارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة، واقرأ في ذلك قوله تعالى في السورة :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (البقرة : ٤٠).

إلى آخر آية البر في منتصف السورة تقريبا وهى :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ (البقرة : ١٧٧).

وهذا الغرض من أغراض السورة استدعاه جوار المسلمين لليهود في المدينة.

٤ - والنصف الأخير من سورة البقرة اشتمل على التشريع الإسلامى الذى اقتضاه تكون المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عبادتها ومعاملاتها وعاداتها.

وقد ذكرت السورة من ذلك القصاص في القتل العمد، وذكرت الصيام والوصية والاعتكاف، والتحذير من أكل أموال الناس بالباطل وذكرت الأَهِلَّةَ وأنها جُعلت ليعتمد الناس عليها في أوقات العبادة والزراعة وغيرها، وذكرت الحج والعمرة وذكرت القتال وسببه الذى يدعو إليه وغايته التى ينتهى إليها. وذكرت الخمر والميسر واليتامى،

وحكم مصاهرة المشركين وذكرت حيض النساء والتطهر منه والطلاق والعدة والخلع والرضاع، وذكرت الأيْمان وكفارة الحنث فيها، وذكرت الإنفاق فى سبيل الله، وذكرت البيع والربا، وذكرت طرق الاستيثاق فى الديون بالكتابة والاستشهاد والرهن. ويبدأ هذا السياق من قوله تعالى بعد آية البر: [٧]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ (البقرة : ١٧٨).

ويحصى الإمام الفروزابادى خصائص سورة البقرة إحصاء يتضح معه كيف أنها سورة جامعة جمعت فأوعت، فيذكر مقاصد السورة، ويحصى الناسخ والمنسوخ من آياتها، وبسط الكلام على الآيات المتشابهات (من ص ١٣٨ إلى ١٥٥)، ويختتم بذكر فضل السورة، وبالحديث النبوى الشريف الذى بنينا عليه بحثنا هذا، وكل ذلك فى كتابه النفيس «بصائر ذوى التمييز» تحت البصيرة رقم (٢)، وهو يعدّد خصائص سورة البقرة على النحو التالى :

مجموع فواصل آياتها (ق م ل ن د ب ر) ويجمعها (قم لندبر)، وعلى اللام آية واحدة ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١٠٨) آخر الآية المائتين.

وأما أسماؤها فأربعة: البقرة، لاشتمالها على قصة البقرة. وفى بعض الروايات عن النبى ﷺ : السورة التى تذكر فيها البقرة. الثانى

(٧) أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن. د. عبد الله شحاته / ١٩-٢١ . انظر أيضاً هامش (٤) سابقا.

سورة الكرسى، لاشتمالها على آية الكرسى التى هى أعظم آيات القرآن. الثالث سنام القرآن، لقوله ﷺ «إن لكل شىء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة» (أخرجه ابن حبان وغيره كما فى الإتقان فى النوع ٧٢) الرابع الزهراء، لقوله ﷺ «اقرءوا الزّهراوين البقرة وآل عمران» (ورد فى ضمن حديث أخرجه أحمد كما فى الإتقان فى الموضع السابق».

وعلى الإجمال مقصود هذه السورة مدح مؤمنى أهل الكتاب، وذم الكفار كفّار مكة. ومنافقى المدينة، والرد على منكرى النبوة، وقصة التخليق، والتعليم، وتلقين آدم، وملامة علماء اليهود فى مواضع عدة، وقصة موسى، واستسقائه، ومواعدته ربه، ومِنّته على بنى إسرائيل، وشكواه منهم، وحديث البقرة، وقصة سليمان، وهاروت وماروت، والسحرة والرد على النصارى، وابتلاء إبراهيم عليه السلام، وبناء الكعبة، ووصية يعقوب لأولاده، وتحويل القبلة، وبيان الصبر على المصيبة وثوابه، ووجوب السعى بين الصفا والمروة، وبيان حجة التوحيد، وطلب الحلال، وإباحة الميتة حال الضرورة، وحكم القصاص، والأمر بصيام رمضان، والأمر باجتناب الحرام، والأمر بقتال الكفار، والأمر بالحج والعمرة، وتعديد النعم على بنى إسرائيل، وحكم القتال فى الأشهر الحرم، والسؤال عن الخمر والميسر ومال الأيتام، والحيض، والطلاق، والمناكحات، وذكر العدة، والمحافظة على الصلوات، وذكر الصدقات والنفقات، وملك طالوت، وقتل جالوت، ومناظرة الخليل عليه السلام ونمرود، وإحياء الموتى بدعاء إبراهيم، وحكم الإخلاص فى النفقة، وتحريم الربا وتخصيص الرسول ﷺ ليلة المعراج بالإيمان حيث قال: ﴿آمن الرسول﴾ إلى آخر السورة.

هذا معظم مقاصد هذه السورة الكريمة.

ثم ينتقل الفيروزابادى إلى بيان الناسخ والمنسوخ فيحدده فى ست وعشرين آية. ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام ابن الجوزى ذكر أن ما ادُّعى عليهن النسخ فى سورة البقرة سبعا وثلاثين آية (انظر بحثه المستفيض فى نواسخ القرآن / ٤١-١٠٣).

أما الآيات الست والعشرون التى بيّنها الإمام الفيروزابادى فنسوقها لك فيما يلى، مع ملاحظة أنه استخدم الحرف م للدلالة على المنسوخ، والحرف ن للدلالة على الناسخ، وهذه الآيات هى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ م ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ (آل عمران : ٨٥) ن ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ م ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ن (التوبة : ٥) وقيل محكمة ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ م (البقرة : ١٠٩) ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ ن (التوبة: ٢٩) ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ م (البقرة: ١١٥) ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ن البقرة : ١٤٤، ١٥٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ م (١٥٩) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ ن (١٦٠) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ م (١٧٣) أُحلت لنا ميتتان ودمان، من السُّنة ناسخها ن ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ م (١٧٨) ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ن (المائدة: ٤٥) ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾ م (١٨٠) (آية المواريث) ن (النساء : ١١) ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ م ١٨٣) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ ن (١٨٧) ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ

فدية﴾ م (١٨٤) ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ ن (١٨٥) ﴿ولا تعتدوا﴾ م (١٩٠) ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا﴾ ن (١٩٤) ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ ن (التوبة : ٣٦) ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ م (١٩١) ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ ن (١٩١) ﴿فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم﴾ م (١٩٢) بآية السيف ن ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم﴾ م (١٩٦) ﴿به أذى من رأسه﴾ ن (١٩٦) ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ م (٢١٥) ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ ن (التوبة : ٦٠) ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ م (٢١٧) ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ ن (التوبة : ٥) ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ م (٢١٩) ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ ن (المائدة : ٩٠) ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ م (٢١٩) ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ ن (التوبة : ١٠٣) ﴿ولا تنكحوا المشركات﴾ م (٢٢١) ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾ ن (المائدة : ٥) ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ م (٢٢٨) ﴿الطلاق مرتان﴾ (٢٢٩) وقوله تعالى : ﴿فإن طلقها﴾ ن (٢٣٠) ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا﴾ م (٢٢٩) ﴿فإن خفتم ألا يقيما﴾ ن (٢٢٩) (يعلق المحقق هنا بقوله إن النسخ فى آية واحدة غير مقبول كما يعلق على الآية ٢٣٣) ﴿والوالدات يرضعن﴾ م (٢٣٣) ﴿فإن أرادا فصالاً﴾ ن (٢٣٣) ﴿ وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول﴾ م (٢٤٠)

﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ن (٢٣٤) ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ م (٢٥٦) آية السَّيف ن (التوبة : ٥) ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ م (٢٨٢) ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ن (٢٨٣) ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ م (٢٨٤) ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا ﴾ (٢٨٦) وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ ن (١٨٥) (بصائر ذوى التمييز ١ / ١٣٣ - ١٣٨ . انظر أيضاً نواسخ القرآن للإمام ابن الجوزى / ٤٠ - ١٠٣ .

أما عن الآيات المتشابهات فى هذه السورة فقد أحصاها الكرمانى ونقلها عنه الفيروزابادى (ص ١٣٨ - ١٥٥) وننقل لك فيما يلى بعضًا مما أورده الكرمانى فى كتابه «البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» وهو يعنى بالآيات المتشابها تلك التى تكررت فى القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع فى بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التى تكررت من غير زيادة ولا نقصان. قال الكرمانى عن الآيات المتشابهات فى سورة البقرة، وقد وضعنا أرقام الآيات بين أقواس، وكذلك تعليقات المحقق :

قوله تعالى : ﴿ الم ﴾ هذه الآية تتكرر فى أوائل ست سور، فهى من المتشابه لفظا، وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران : ٧) هى هذه الحروف الواقعة فى أوائل السور، فهى أيضاً من المتشابه لفظا ومعنى، والموجب لذكره أول البقرة من القسم وغيره، هو بعينه الموجب لذكره فى أوائل سائر السور المبدوءة

به، وزاد في الأعراف صادا (يقصد ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ في أول الأعراف) لما جاء بعده: ﴿ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ ولهذا قال بعض المفسرين: معنى ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ألم نشرح لك صدرك. وقيل: معناه المصور. وزاد في الرعد راء لقوله بعده: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾.

قوله: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦) وفي يَسٓ: ﴿ وَسَوَاءٌ ﴾ (١٠) بزيادة واو، لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم إن، وما في يَسٓ جملة عطفت بالواو على جملة.

قوله: ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (٨) ليس في القرآن غيره. تكرار العامل مع حرف العطف لا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة، وإبعادا للتهمة، فكانوا في ذلك كما قيل: يكاد المريب يقول خذوني. فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) ويكثر ذلك مع النفي، وقد جاء في القرآن في موضعين: في النساء ﴿ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (٣٨) وفي التوبة ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (٢٩).

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ (٢١) ليس في القرآن غيره. لأن العبادة في الآية: التوحيد، والتوحيد أول ما يلزم العبد من المعارف، فكان هذا أول خطاب خاطب الله به الناس في القرآن فخاطبهم بما ألزمهم أولا، ثم ذكر سائر المعارف، وبنى عليها العبادات فيما بعدها من السور والآيات.

فإن قيل: سورة البقرة ليست من أول القرآن نزولا، فلا يحسن فيها ما ذكرت.

قلت: أول القرآن سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضه ﷺ على جبريل عليه السلام كل سنة أى: ما كان يجتمع عنده منه. وعرضه ﷺ فى السنة التى توفى فيها مرتين وكان آخر الآيات نزولا: ﴿واتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيتى الربا والدَّيْن (تفسير القرطبى ١ / ٦٠، ٦١ أخرجه عن ابن عباس، خلافا لما روى عن البراء: آن آخر آية أنزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة﴾).

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله فى هود: ﴿**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ**﴾ (١٣) معناه: مثل البقرة إلى هود، وهى العاشرة، ومعلوم أن سورة هود مكية، وأن البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة مدنيات نزلن بعدها.

وفسر بعضهم قوله: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ (المزمل: ٤) أى: اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم وتأخير، وجاء النكير على من قرأه معكوسًا.

(هذا هو رأى ابن مسعود وابن عمر. انظر تفسير القرطبى ١ / ٦١. وقد فسره القرطبى بقراءة السورة منكوسة أى من آخرها إلى أولها).
ولو حلف إنسان أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزمه إلا على هذا الترتيب، ولو نزل جملة كما اقترحوا عليه بقولهم: ﴿**لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾ (الفرقان: ٣٢) لنزل على هذا الترتيب، وإنما

تفرقت سوره وآياته نزولا لحاجة الناس حالة بعد حالة، ولأن فيه الناسخ والمنسوخ، ولم يكونا ليجتمعا نزولا.

وأبلغ الحكم في تفرقه ما قاله سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ (الإسراء: ١٠٦) وهذا أصل تنبني عليه مسائل والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (٢٣) بزيادة (من) في هذه السورة، وفي غيرها ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ (يونس :٣٨) لأن (من) تدل على التبعيض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة، حسن دخول (من) فيها ليعلم أن التحدى واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخلها (من) لكان التحدى واقعًا على بعض السور دون بعض. ولم يكن ذلك بالسهل.

والهاء في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ تعود إلى (ما) وهو القرآن، وذهب بعضهم إلى أنه يعود على محمد ﷺ أى: فأتوا بسورة من إنسان مثله، وقيل: يعود إلى الأنداد وهو ضعيف. لأن الأنداد جماعة والهاء للفرد. وقيل: مثله: التوراة، والهاء تعود إلى القرآن، والمعنى: فأتوا بسورة من التوراة التي هي مثل القرآن ليعلموا وفاقهما. وهو خطاب لليهود.

قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (٣٤) ذكر هذه الخلال في هذه السورة جملة ثم ذكرها في سائر السور مفصلا، فقال في الأعراف: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١) وفي الحجر: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣١) وفي الإسراء: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١) وفي الكهف: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ

كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (٥٠) وفى طه : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ (١١٦) وفى ص : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧٤).

قوله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا ﴾ (٣٥) بالواو ، وفى الأعراف : ﴿ فَكُلا ﴾ (١٩) بالفاء . (اسكن) فى الآيتين ليس بأمر بالسكون الذى هو ضد الحركة ، وإنما الذى فى البقرة من السكون الذى معناه الإقامة وذلك يستدعى زمانا ممتدا فلم يصلح إلا بالواو ، لأن المعنى : اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها . ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة ، لأن الفاء للتعقيب والترتيب . والذى فى الأعراف من السكنى الذى معناها : اتخاذ الموضع مسكنا ، لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله : ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾ (الأعراف : ١٨) وخاطب آدم فقال : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (١٩) أى : اتخذاها لأنفسكا مسكنًا ﴿ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ (١٩) فكانت الفاء أولى ، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعى زمانًا ممتداً ، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه ، بل يقع الأكل عقيبه .

وزاد فى البقرة ﴿ رَغَدًا ﴾ لما زاد فى الخبر تعظيما بقوله : ﴿ وَقُلْنَا ﴾ بخلاف سورة الأعراف فإن فيها ﴿ قال ﴾ والخطيب ذهب إلى أن ما فى الأعراف خطاب لهما قبل الدخول ، وما فى البقرة بعد الدخول (انظر «درة التنزيل وغرة التأويل / ١١) .

قوله : ﴿ اهْبِطُوا مِنْهَا ﴾ (٣٨) كرر الأمر بالهبوط (التكرار فى نفس السورة) لأن الأول من الجنة والثانى من السماء .

قوله : ﴿ فَمَن تَبِعَ ﴾ (٣٨) وفى طه ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ ﴾ (١٢٣) تبع

واتبع بمعنى، وإنما اختار فى طه ﴿ اتبع ﴾ موافقة لقوله تعالى : ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ (١٠٨).

قوله تعالى : ﴿ وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ (٤٨) قدم الشفاعة فى هذه الآية وأخَّر العدل، وقدم العدل فى الآية الأخرى (آية ١٢٣) من هذه السورة وأخر الشفاعة. وإنما قدم الشفاعة قطعًا لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله وأخرها فى الآية الأخرى لأن التقدير فى الآيتين معًا : لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة، لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل فى الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها.

قوله تعالى : ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ (٤٩) بغير واو هنا على البدل من ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ وفى الأعراف : ﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾ (١٤١) وفى إبراهيم : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ (٦) بالواو، لأن ما فى هذه السورة والأعراف من كلام الله تعالى. فلم يرد تعداد المحن عليهم، والذى فى إبراهيم من كلام موسى، فعدد المحن عليهم، وكان مأمورا بذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ (إبراهيم : ٥).

قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥٧) ههنا، وفى الأعراف (١٦٠) وقال فى آل عمران. ﴿ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧) لأن ما فى السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا وما فى آل عمران مثل.[٨]

---

(٨) أسرار التكرار فى القرآن «البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٢١-٢٨ .

وسورة البقرة أجمع سور القرآن للأحكام والأمثال، ولهذا سميت في أثر: فسطاط القرآن (أخرجه الدارمي: ٢ / ٤٤٦ عن خالد بن معدان) الذي هو: المدينة الجامعة، فناسب تقديمها على جميع سوره.

ونسوق فيما يلي بيانا بالأمثال التي جاءت في سورة البقرة، مصحوباً بأرقام الصفحات التي وردت بها في كتاب «الأمثال من الكتاب والسنّة للحكيم الترمذي، وبالله التوفيق:

السورة	رقم الآية	الصفحة	
سورة البقرة	١٤-١٨	٥	وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)
	١٩	٧-٨	أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ.

السورة	رقم الآية	الصفحة	
سورة البقرة	٧٤	٩	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .
	١٧١	٩، ١٠	وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ .
	٢٥٩	١٠	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
	٢٦١	١١، ١٢	مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

السورة	رقم الآية	الصفحة	
سورة البقرة	٢٦٢	١٢	الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.
	٢٦٤	١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.
	٢٦٥	١٣	وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٩].

(٩) الأمثال من الكتاب والسُّنة لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي - تحقيق علي محمد البجاوي. مكتبة دار التراث. د.ت / ٣٥٩ - ٣٦٣.

فضل سورة البقرة:

ونختتم بما أورده الإمام النسائي عن فضل سورة البقرة، وقد احتفظنا بأرقام الأحاديث كما وردت في النص، كما وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص:

٢٨ - أخبرنا عمران بن موسى قال: ثنا يزيد - يعني ابن زريع - قال: ثنا شعبة عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: ذُكر لي عن أبي مسعود، فلقيته، وهو يطوف بالبيت فسألته فقال: قال رسول الله ﷺ: من «قرأ الآيتان (ورد هكذا في الأصل والصواب الآيتين) من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

(أخرجه أحمد في مسنده ٤ / ١٢١، ١٢٢ والبخاري في مواضع من صحيحه انظر ٣١٧٧، ٩ / ٥٥ ومسلم ٢ / ١٩٨ والدارمي في سننه رقم ١٤٩٥، ٣٣٩١ وأبو داود رقم ١٣٩٧ والترمذي ٤ / ٤٤ وابن ماجه رقم ١٢٦٨ و ١٢٦٩ وآخرون. وانظر الدر المنثور ١ / ٢٧٨.

وأبو مسعود صاحب هذا الحديث هو عقبة بن عمرو.

الآيتان هما ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...﴾ إلى آخر السورة.

ومعنى قوله ﷺ كفتاه: أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن، وقيل: كفتاه كل سوء وشر. وقيل: كفتاه أي حصل له من الثواب بسببهما ما يكفيه عن قراءة شيء آخر. وقيل غير ذلك وقد يحصل له كل هذا الخير والله تعالى أعلم.

٢٩ - أخبرنا بشر بن خالد قال : أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن علقمة عن أبي مسعود، قال : من قرأ الآيتين الأخيرتين، من البقرة في ليلة كفتاه، قال عبد الرحمن : فلقيت أبا مسعود فحدثني به.

تخريج الحديث المتقدم (رقم ٢٨).

٣٠ - أخبرنا على بن خشرم، قال : أنا عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «الآيتان الأخيرتان من سورة البقرة مَنْ قرأهما في ليلة كفتاه».

تخريج الحديث رقم ٢٨ .

٤٠ - أخبرنا قتيبة بن سعيد قال : ثنا يعقوب عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشّيطان ينفُر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة».

(وأخرجه مسلم في صحيحه ٢ / ١٨٨ والترمذى في جامعه ٤ / ٤٢ وقال : حسن صحيح. وأحمد في مسنده.

وقوله (مقابر) : أى لا تجعلوها مهجورة خالية من الذكر والطاعة. بل عمِّروها بذكر الله وتلاوة آياته).

٤١ - أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب، قال : أنا الليث قال : أنا خالد عن ابن أبي هلال عن يزيد بن عبد الله بن أسامة، عن عبد الله بن خبّاب عن أبي سعيد الخدرى عن أسيد بن

حضير - وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن - قال : «قرأت الليلة بسورة البقرة، وفرسٌ لي مربوط، ويحيى ابني مضطجع قريبًا مني وهو غلام، فجالت جولةً فقمت ليس لي همٌ إلا يحيى ابني، فسكنت الفرس، ثم قرأت فجالت الفرس، فقمت ليس لي همٌ إلا ابني، ثم قرأت فجالت الفرس، فرفعت رأسي، فإذا بشيء كهيئة المظلَّة في مثل المصابيح مقبل من السماء فهالني، فسكنت فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : اقرأ يا أبا يحيى قلت : قد قرأت يا رسول الله فجالت الفرس وليس لي همٌ إلا ابني، فقال : اقرأ يا ابن حضير، قال : قد قرأت فرفعت رأسي فإذا كهيئة الظلَّة فيها مصابيح فهالني، فقال : ذلك الملائكة دنَوْا لصوتك، ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم».

(أخرجه أحمد في مسنده ٢ / ٨١).

وعلقه البخاري في صحيحه عن الليث بن سعد ٩ / ٦٣ وأخرجه مسلم ٢ / ١٩٤ وأبو عبيد في فضائل القرآن من طرق. انظر تفسير ابن كثير ١ / ٦٠ وعزاه المنذري لابن حبان في صحيحه، انظر الترغيب والترهيب ٢ / ٣٧١)[١٠]

وعن فضل سورة البقرة أيضًا يقول الفيروزابادي:

عن أبي بُريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «تعلموا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولن يستطيعها البطلة» (الحديث أخرجه

---

(١٠) فضائل القرآن للإمام أحمد بن شعيب النسائي - تحقيق د. فاروق حمادة. دار الثقافة. الدار البيضاء. الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م/ ٦٩، ٧٠، ٧٦، ٧٧.

أحمد عن بريدة، كما فى الإتقان (النوع ٧٢) وفى شهاب البيضاوى فى آخر سورة البقرة تفسير البطلة بالسحرة أو بالبلغاء) وقال ﷺ: «إن الشيطان لا يدخل بيتًا يُقرأ فيه سورة البقرة» (من حديث رواه الحاكم كما فى الترغيب والترهيب).

وعن عكرمة قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة، من قرأها فى بيته نهارًا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أيام. ومن قرأها فى بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال. وروى أن من قرأها كان له بكل حرف أجر مرابطٍ فى سبيل الله. وعن أنس قال كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جَدَّ فينا، أى عظم فى أعيننا، وعن ابن مسعود قال: كنَّا نعدُّ من يقرأ سورة البقرة من الفحول. وقد أمَّر رسول الله ﷺ فتى على جماعة من شيوخ الصحابة كان يحسن سورة البقرة (من حديث رواه الترمذى كما فى الترغيب والترهيب) وقال ﷺ: «اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنَّهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صوافّ يحاجَّان عن صاحبهما».

(غيايتان: تثنية غياية، وهى كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية ونحوهما كما فى الترغيب والترهيب. وفرقان: تثنية فرق، وهو القطيع من الغنم والظباء، ونحوها).[11]

(١١) بصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١ / ١٣٤ - ١٣٨، ١٥٦).

ثانياً : سورة آل عمران

بعد أن أتم الإمام فيروزابادى الكلام عن خصائص سورة البقرة، أخذ في إحصاء خصائص سورة آل عمران، وذلك في البصيرة رقم (٣) من بصائره، تحت عنوان «بصيرة فى الٓمٓ ① اللَّهُ» وننقله فيما يلى. قال رحمه الله:

من أسمائها سورة آل عمران، والسُّورة التى يذكر فيها آل عمران، والزَّهراء.

وعمران المذكور هو عمران والد موسى وهارون عليهما السّلام وهو ابن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب. وأما عمران والد مريم فهو ابن ماثان بن أسعراد بن أبى ثور.

وهذه السّورة مَدَنية باتّفاق جميع المفسرين. وكذلك كلُّ سورة تشتمل على ذكر أهل الكتاب. وعدد آياتها مئتان بإجماع القُرَّاء.

وكلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائه وثمانون. وحروفها أربعة عشر ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفًا.

والآيات المختلف فيها سبع: الٓم، ﴿وَالْإِنجِيلَ﴾ (الآية ٤٨) الثانى، ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (الآية ٤) ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الآية ٤٩)، ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (الآية ٩٢)، ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الآية ٩٧)، والإنجيل الأول فى قول بعضهم.

مجموع فواصل آياتها (ل ق د ا ط ن ب م ر) يجمعها قولك: (لقد أطنب مُرّ) والقاف آخر آية واحدة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، الآية

١٨١) والهمز آخر ثلاث آيات ﴿ **لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** ﴾ (الآية ٥) ﴿ **إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ (الآية ٣٨) ﴿ **كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ (الآية ٤٠).

ومضمون السّورة مناظرة وَفْد نجران (نجران بلد فى اليمن من ناحية مكة)، إلى نحو ثمانين آية من أوّلها، وبيان المحكَم، والمتشابه، وذمُّ الكفَّار، ومَذمَّة الدنيا، وشَرَفُ العُقْبى، ومدح الصَّحابة، وشهادة التَّوحيد، والرَّد على أَهل الكتاب، وحديث ولادة مَرْيم، وحديث كَفَالة زكريا، ودعائه، وذكر ولادة عيسى، ومعجزاته، وقصة الحَوَاريّين، وخبر المباهلة (من البهلة وهى اللعنة) وهى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾، والاحتجاج على النَّصارى، ثمّ أَربعون آية فى ذكر المرتدِّين، ثم ذكر خيانة علماء يهودَ، وذكر الكعبة، ووجوب الحج، واختيار هذه الأمّة الفُضْلى، والنَّهى عن موالاة الكفار، وأَهل الكتاب، ومخالفى المِلَّة الإسلامية. ثم خمس وخمسون آية فى قصّة حَرْب أُحُدٍ (من الآية ١٢١)، وفى التخصيص (الظاهر أنه محرف عن «التحيص» ويكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾.

والشكوى من أهل المركز (هو الموضع يؤمر الجند أن يلزموه. وأهل المركز هم الرماة الذين أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام أن يلزموا أماكنهم بجانب أُحد)، وعذر المنهزمين، ومنع الخَوض فى باطل المنافقين، وتقرير قصّة الشهداء، وتفصيل غَزْوَة بدر الصغرى، لما انتهت غزوة أحد تواعد المسلمون وقريش أن يلتقوا فى العام المقبل فى بدر. فلما حل

الموعد خافت قريش ودسوا إلى المسلمين من يثبطهم عن الذهاب إلى بدر فلم يثن ذلك المسلمين وذهب الرسول ﷺ إلى بدر فلم يجدوا العدو، فهذه بدر الصغرى. فأما الكبرى فهي السابقة على غزوة أحد، كان فيها النصر المؤزر للمسلمين. ونزل في بدر الصغرى قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾. وما بعدها.

ثم رجع إلى ذكر المنافقين في خمس وعشرين آية، والطَّعن على علماء اليهود، والشكوى منهم في نقض العهد، وترك بيانهم نعتَ رسول الله ﷺ المذكور في التَّوراة، ثم دعواتِ الصحابة، وجدهم في حضور الغزوات، واغتنامهم درجة الشهادة. وختم السورة بآيات الصبر والمصابرة والرِّباط.

وأمّا الناسخ والمنسوخ في هذه السور فخمس آيات : ﴿**وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ**﴾ م (الآية ٢٠) م. بآية السّيف ن ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾ (الآية ٨٦) إلى تمام ثلاث آيات م ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**﴾ ن (الآية ٨٩) نزلت في الستة الذين ارتدوا ثم تابوا وأسلموا ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ (الآية ١٠٢) ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾م (هذه الآية لا مكان لها هنا فإنها في الحج ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ ن (التغابن : ١٦).

وأما المتشابها فقوله : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ (الآية ٩) وفي آخرها ﴿**إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ (الآية ١٩٤) فعَدَل من الخطاب إلى

لفظ الغَيبة في أول السورة، واستمر على الخطاب في آخرها؛ لأن ما في أول السورة لا يتصل بالكلام الأول، كاتصال ما في آخر السورة به؛ فإن اتصال قوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾ بقوله ﴿ إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ﴾ معنويّ، واتصال قوله ﴿ إنك لا تخلف الميعاد ﴾ بقوله ﴿ ربنا وءاتنا ما وعدتنا ﴾ لفظيّ ومعنويّ جميعًا؛ لتقدم لفظ الوعد. ويجوز أن يكون الأول استئنافًا، والآخر من تمام الكلام.

قوله ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ** ﴾ (الآية ١١) كان القياس: فأخذناهم لكن لما عدل في الآية الأولى إلى قوله ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ عدل في هذه الآية أيضاً لتكون الآيات على منهج واحد، قوله ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ (الآية ١٨) ثم كرّر في آخر الآية، فقال: ﴿ لا إله إلا هو ﴾ لأن الأول جرى مَجْرى الشهادة، وأعاده ليجرى الثاني مجرى الحكم بصحّة ما شهد به الشهود.

قوله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ كرّره مرتين (الآية ٢٨ ، ٣٠)؛ لأنه وعيد عُطف عليه وعيد آخر في الآية الأولى، فإن قوله ﴿ **وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ (الآية ٢٨) معناه: مَصيركم إليه. والعقاب مُعَدٌّ له، فاستدركه في الآية الثانية بوعد وهو قوله ﴿ **وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ (الآية ٣٠) والرأفة أشد من الرحمة. قيل: ومن رأفته تحذيرُه قوله ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ** ﴾ (الآية ٤٠) قدم في هذه السورة ذكر الكِبَر وأخر ذكر المرأة، وقال في سورة مريم ﴿ **وَكَانَتِ**

امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (آية ٨) فقدم ذكر المرأة لأن في مريم قد تقدم ذكر الكِبَر في قوله ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ (آية ٤) ، وتأخر ذكر المرأة في قوله ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ (آية ٥) ثم أعاد ذكرهما، فأخر ذكر الكِبَر ليوافق ﴿ عِتِيًّا ﴾ (آية ٨) ما بعده من الآيات وهي ﴿ سَوِيًّا ﴾ و﴿ وَعَشِيًّا ﴾ و﴿ صَبِيًّا ﴾ (الآيات ١٠ - ١٢)

قوله ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ (آية ٤٧) وفي مريم ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ (الآية ٢٠) لأن في هذه السورة تقدم ذكرُ المسيح وهو ولدها، وفي مريم تقدم ذكر الغلام حيث قال ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ (الآية ١٩).

قوله ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾ (الآية ٤٩) وفي المائدة ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا ﴾ (الآية ١١٠) قيل : الضمير في هذه يعود إلى الطير، وقيل إلى الطين، وقيل إلى المهيَّأ، وقيل إلى الكاف فإنه في معنى مثل. وفي المائدة يعود إلى الهيأة. وهذا جواب التذكير والتأنيث، لا جواب التخصيص، وإنما الكلام وقع في التخصيص وهل يجوز أن يكون كل واحد منهما مكان الآخر أم لا. فالجواب أن يقال : في هذه السُّورة إخبار قبل الفعل، فوحَّده؛ وفي المائدة خطاب من الله له يوم القيامة، وقد سَبَق من عيسى عليه السلام الفعلُ مرّات والطير صالح للواحد والجمع.

قوله ﴿ بإذن الله ﴾ ذكره هنا مرتين، وفي المائدة ﴿ بِإِذْنِي ﴾ أَربعَ مرات لأَن ما في هذه السُّورة من كلام عيسى، فما تصور أن يكون من

قبَل البشر أضافه إلى نفسه، وهو الخَلْق الَّذى معناه التقدير، والنفخ الذى هو إخراج الريح من الفم. وما لا يتصوّر أَضافه إلى الله وهو قوله: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ مما لا يكون فى طوق البشر، فإن الأكمه عند بعض المفسرين الأعمشُ، وعند بعضهم الأَعشى، وعند بعضهم من يولد أَعمى، وإحياء الموتى من فعل الله فأضافه إليه. وما فى المائدة من كلام الله سبحانه وتعالى، فأَضاف جميع ذلك إلى صنعه إظهاراً لعجز البشر، وأن فعل العبد مخلوقُ اللهِ. وقيل (بِإِذْنِ اللَّهِ) يعود إلى الأفعال الثلاثة. وكذلك الثانى يعود إلى الثلاثة الأخرى (القائل هو الخطيب الإسكافى).

قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ (الآية ٥١) وكذلك فى مريم (الآية ٣٦) وفى الزخرف فى هذه القصّة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ (الآية ٦٤) بزيادة (هو) قال تاج القُراء الكرمانى إذا قلت: زيد قائم يحتمل أَن يكون تقديره: وعمرو قائم. فإذا قلت زيد هو القائم خصصت القيام به، وهو كذلك فى الآية. وهذا مثاله لأَن ﴿هُوَ﴾ يذكر فى هذه المواضع إعلامًا بأن المبتدأ مقصور على هذا الخبر وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره والذى فى آل عمران وقع بعد عشر آيات نزلت فى قصة مريم وعيسى، فاستغنت عن التأكيد بما تقدم من الآيات، والدّلالة على أن الله سبحانه وتعالى ربّه وخالقه لا أَبوه ووالده كما زعمت النصارى. وكذلك فى سورة مريم وقع بعد عشرين آية من قصتها. وليس كذلك ما فى الزخرف فإنه ابتداء كلام منه فحسن التأكيد بقوله ﴿هُوَ﴾ ليصير المبتدأ مقصوراً على الخبر المذكور فى الآية وهو إثبات الربوبيَّة ونفى الأُبوّة، تعالى الله عند ذلك علوًّا كبيراً.

قوله ﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (الآية ٥٢) في هذه السورة، وفي المائدة ﴿ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (الآية ١١١) لأن ما في المائدة أول كلام الحواريين، فجاء على الأصل، وما في هذه السورة تكرار كلامهم فجاز فيه التخفيف لأن التخفيف فرع والتكرار فرع والفرع بالفرع أولى.

قوله ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن ﴾ (الآية ٦٠) وفي البقرة ﴿ فَلا تَكُونَنَّ ﴾ (الآية ١٤٧) لأن ما في هذه السورة جاء على الأصل، ولم يكن فيها ما أوجب إدخال نون التأكيد في الكلمة؛ بخلاف سورة البقرة فإن فيها في أول القصة ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ بنون التأكيد فأوجب الازدواجُ إدخال النون في الكلمة فيصير التقدير: فلنولينّك قبلة ترضاها فلا تكوننّ من الممترين. والخطاب في الآيتين للنبي ﷺ والمراد به غيره.

قوله ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾ (الآية ٧٣) وفي البقرة ﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ (الآية ١٢٠) في هذه السورة هو الدين، وقد تقدم في قوله ﴿ لمن تبع دينكم ﴾ وهدى الله الإسلام، وكأنه قال بعد قولهم ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ قل إن الدين عند الله الإسلام كما سبق في أول السورة. والذي في البقرة معناه القبلة لأن الآية نزلت في تحويل القبلة، وتقديره أن قبلة الله هي الكعبة.

قوله ﴿ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ (آل عمران : ٩٩) ليس ههنا (به) ولا واو العطف وفي الأعراف (الآية ٨٦) ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ بزيادة ﴿ به ﴾ وواوِ العطف لأنَّ القياس من آمن به، كما في الأعراف؛ لكنها حُذفت في هذه السورة موافقة لقوله ﴿ ومن كفر ﴾ فإن القياس

فيه أيضًا (كفر به) وقوله ﴿تبغونها عوجًا﴾ ههنا حال والواو لا يزيد مع الفعل إذا وقع حالاً، نحو قوله ﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر : ٦) و﴿دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ﴾ (سبأ : ١٤) وغير ذلك، وفي الأعراف عطف على الحال؛ والحال قوله ﴿توعدون﴾ و﴿تصُدون﴾ عطف عليه؛ وكذلك ﴿تبغونها عوجًا﴾.

قوله : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران : ١٢٦) ههنا بإثبات ﴿لكم﴾ وتأخير ﴿به﴾ وحذف ﴿إن الله﴾ وفي الأنفال (الآية ١٠) بحذف ﴿لكم﴾ وتقديم ﴿به﴾ وإثبات ﴿إن الله﴾ لأن البُشْرى للمخاطبين؛ فبين وقال (لكم) وفي الأنفال قد تقدم لكم في قوله ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الآية ٩) فاكتفى بذلك؛ وقدم (قلوبكم) وأخر (به) إزواجًا (بين المخاطبين فقال ﴿إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ وقدم «به» في الأنفال إزدواجًا) بين الغائبين فقال ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ﴾ (الآية ١٠) وحذف ﴿إن الله﴾ ههنا؛ لأن ما في الأنفال قصةُ بدر؛ وهي سابقة على ما في هذه السورة، فإنها في قصة أُحد فأَخبر هناك أن الله عزيز حكيم، فاستقر الخبر. وجعله في هذه السورة صفة، لأن الخبر قد سبَق.

قوله : ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران : ١٣٦) بزيادة الواو لأن الاتصال بما قبلها أكثر من غيرها. وتقديره: ونعم أجر العاملين المغفرةُ، والجناتُ، والخلودُ.

قوله ﴿رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (آل عمران : ١٦٤) بزيادة الأنفس، وفي غيرها ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ (الآية ١٢٩ من سورة البقرة) لأَن الله سبحانه مَنَّ على المؤمنين به، فجعله من أَنفسهم؛ ليكون موجبُ المنَّة أَظهرَ. وكذلك قوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (التوبة : ١٢٨) لمَّا وصفه بقوله : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ جعله من أنفُسهم ليكون موجب الإجابة والإيمان به أَظهر، وأَبْين.

قوله ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (آل عمران : ١٨٤) ههنا بباء واحدة، إلا في قراءة ابن عامر، وفي فاطر (الآية ٢٥) ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ﴾ بثلاث باءَات؛ لأَن ما في هذه السورة وقع في كلام مبنى على الاختصار، وهو إِقامة لفظ الماضي في الشرط مُقام لفظِ المستقبل، ولفظُ الماضي أَخفُّ، وبناءُ الفعل بالمجهول، فلا يُحتاج إِلى ذكر الفاعل. وهو قوله : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ (آل عمران: ١٨٤) ثم حذف الباءَات ليوافق الأَوّل في الاختصار بخلاف ما في فاطر فإِنَّ الشَّرط فيه بلفظ المستقبل والفاعل مذكور مع الفعل وهو قوله : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (فاطر: ٢٥) ثمّ ذكر بعده الباءَات؛ ليكون كله على نَسق واحد.

قوله : ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (آل عمران : ١٩٧) وفي غيره (كالآية ٧٣ من سورة التوبة) ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ لأَن ما قبله في هذه السورة ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾

(آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧) (أى ذلك متاع فى الدنيا قليل) . والقليل يدل على تراخٍ وإن صغر وقل . و(ثم) للتراخى وكان موافقا . والله أعلم .

ويختتم الإمام الفيروزابادى كلامه عن سورة آل عمران بذكر فضل هذه السورة مما ورد فى الحديث النبوى الشريف الذى سقناه فى بداية هذا البحث وبنينا البحث عليه ونعيده فيما يلى ، وقد وضع الفيروزابادى عنوانا له وهو :

فضل السورة :

عن النبىّ ﷺ (ورد بعضه فى حديث أخرجه أحمد عن بريدة ، كما فى الإتقان) «تَعَلَّموا البقرة وآل عمران ؛ فإنَّهما الزهراوان ، وإنَّهما يأتيان يوم القيامة فى صُورة ملكين ، يشفعان لصاحبهما ، حتَّى يُدخلاه الجنة) وتقدّم فى البقرةِ (يأتيان كأنَّهما غَمامتان ، أَو غيايتان ، أو فِرْقان من طير صوافّ ، يُظلاَّن قارئهما ، ويشفعان» ويُروى بسند ضعيف : من قرأ سورة آل عمران أُعطِى بكل آية منها أمانًا على جسر جهنَّم ، يزوره فى كلّ يوم جمعة آدمُ ونوح وإبراهيم وآل عمران ، يَغْبطُونه بمنزلته من الله ، وحديثُ علىٍّ (رَفعه) : من قرأَها لا يخرج من الدُّنيا حتَّى يرَى ربّه فى المنام ؛ ذُكِر فى الموضوعات .

(بل قال الشهاب فى حاشية البيضاوى ٣ / ٩٥ : إنه «موضوع ، وهو من الحديث الطويل المذكور فيه فضائل جميع السور ، وهو مما اتفقوا على أنه موضوع مختلق ، وقد خطؤوا من أورده من المفسرين وشنّعوا عليه)[١٢]

---

(١٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١ / ١٥٨ - ١٦٠ ، ١٦٨) ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص .

أما عن الأمثال التى وردت فى سورة آل عمران فقد ذكر منها الحكيم الترمذى الآية رقم (١١٧) وهى قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

وأخيراً ننهى دراستنا هذه فنجعل مسك الختام ما أورده الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت فى كتابه النفيس «من هدى القرآن» :

قال رحمه الله تحت عنوان «سورة آل عمران» :

الربع التاسع

أصيب المسلمون فى غزوة أحد بما سجلته سورة «آل عمران» وسمعوا بعد الهزيمة من الكفار والمنافقين كثيرا من كلمات الشماتة والتخذيل : **﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾** ، **﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ ﴾** ، **﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾** .

جزاء الشهداء :

(من الآية ١٧١ إلى نهاية الآية ١٨٥ من سورة آل عمران) .

وقد أرشد الله فى هذا الربع إلى جملة من العلاج الذى يحفظ على المسلمين قوتهم المعنوية من التأثر بكلمات الشماتة والتخذيل . وكان مما أرشدوا إليه فيما يختص بقتلى أحد ، الذين جادوا بأنفسهم فى سبيل الله ، أنهم ليسوا - كما يظن هؤلاء - أمواتا توارت أجسامهم ، وطويت

صفحتهم، وذهبوا إلى حيث لا يذكرون، بل لقد ارتقى بهم إيمانهم واستشهادهم إلى العندية القدسية، تشرق عليهم فيها أنوار التجليات، ويتمتعون بما أعد لهم من الفضل الإلهي: «فرحين بما آتاهم الله من فضله»، وفرحين بما رأوا من المكانة التي أعدت لإخوانهم الذين تركوهم في الدنيا، يشقون طريقهم بإيمان مثل إيمانهم، وجهاد مثل جهادهم. تركوهم يستجيبون لله وللرسول، غير مكترثين بأراجيف المرجفين، ولا فتن الضالين المكذبين، بل قالوا: حسبنا الله، واتبعوا رضوانه. وما زادتهم الفتن والأراجيف إلا إيمانا على إيمان، وقوة على قوة: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾.

وكان مما ارشدوا إليه فيما يختص بهؤلاء المرجفين، أن أرجافهم - وهم الشياطين المفسدون - لا يؤثر إلا على مثل أتباعهم ضعاف الإيمان، فاسدى العقيدة، وليس له سلطان على المؤمنين الذين يملأ الإيمان قلوبهم فيحفظها من التأثر بالأراجيف والفتن، وسينزل بهؤلاء المفسدين الجزاء الذى يستحقون: ﴿ **إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾.

عبر من الهزيمة:

وكان مما أرشدوا إليه حكمة الهزيمة التى أصيبوا بها وهى: أن الله يريد تطهير صفوف المؤمنين من أرباب القلوب الفاسدة، وليس من شأنه فى ذلك أن يوحى بما فى الضمائر من خبث ونفاق، وإنما شأنه وسنته أن يصطفى رسلا يدعون إلى الإيمان، وفى ظل السلم يختلط الكاذب

بالصادق، والخبيث بالطيب، فيجرى الله أحداثا ويسوق شدائد، تميز الخبيث من الطيب وتظهر جماعة الإيمان الحق، فيوافيهم بالنصر والتأييد: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

عاقبة البخلاء:

وكان مما أرشدوا إليه أن هؤلاء الذين يقبضون أيديهم عن الإنفاق فى سبيل الله، ويبخلون بما آتاهم الله من فضله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ويكون حملا ثقيلا فى أعناقهم لا يستطيعون التخلص من تبعاته، وسيرجع ما بأيديهم إلى الله الذى له ميراث السموات والأرض، والذى أنعم عليهم به من فضله ليبلوهم أيشكرون أم يكفرون.

وبهذه المناسبة عرضت الآيات للتحقير من شأن كلمات كان يلقيها الأعداء بقصد الحط من مكانة الرسالة وصاحبها عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾. وتتوعدهم بالعذاب الأليم، وتأمر الرسول بأن يرد عليهم بقوله: ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾؟.

تسلية:

ثم تأخذ فى تسلية الرسول فى تكذيب القوم له، بأن إخوانه السابقين قد كذبتهم أممهم من قبل بعد أن جاءوا بالبينات، وكان جزاء الرسل لما صبروا النصر والتأييد، وجزاء القوم المكذبين الخزى والدمار. وتلك سنتنا مع الأولياء والأعداء، وستنقضى هذه الدنيا وتذهب كل

النفوس إلى بارئها وتوفى كل نفس ما عملت، ويرى المؤمنون الصادقون ما أعد لهم من نعيم دائم، ويرى الكافرون المكذبون ما أعد لهم من عذاب أليم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

الربع العاشر

إعداد واستعداد:

(من الآية ١٨٦ إلى آخر سورة آل عمران).

بعد أن أرشد الله المؤمنين إلى حكمة الهزيمة التى أصابتهم فى أحد، لفت أنظارهم إلى أن ما أصابهم فى تلك الغزوة ليس آخر ابتلاء يصيبهم من أعدائهم، وأكد لهم أنهم سيختبرون فى مستقبل حياتهم بالشدائد فى الأموال والأنفس بالفعل وبالقول من فريقى المعارضين لهم، وسيرون أذى كثيرا. فلا يظنوا أن الأمر يقف عند حد هذه الغزوات الأولى، فمرحلة الجهاد طويلة، وتضحيات النصر كثيرة، فليوطنوا أنفسهم عليها، ويستعينوا على تحملها بالصبر والتقوى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

ثم أخذ يذكر بسوء عاقبة أعدائهم بجرائمهم التى اقترفوها وصدوا بها الناس عن الإيمان بالحق، فهم قوم نقضوا ميثاق الله، ونبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا، وفرحوا بما ارتكبوا فى جنب الله، وعملوا جهدهم على أن يعتقد الناس فيهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وحملوهم بذلك على أن يعظموهم وأن يسمعوا لدعوتهم فى التأليب

ضد الحق الذى يدعو إليه الرسول وصحبه المخلصون : ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

الأمر والتدبير لله :

وبعد أن تفرغ الآيات من إرشاد المؤمنين إلى ما يجب عليهم من الصبر والتقوى فى مواقف الجهاد والإخلاص فى الدعوة ، وإلى ما سينزل بخصومهم من عاقبة كيدهم وطغيانهم ضد الحق وأهله ، تأخذ فى تقرير ربوبية الله ، وأنه صاحب الأمر والملك والتدبير فى السموات والأرض ، لا شأن لأحد فيهما سواه . فهو القادر على الوفاء بما وعد المؤمنين ، وما توعد به الكافرين : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وجوب النظر فى آيات الله :

ثم تأخذ الآيات فى فتح أبواب العظة والاعتبار ، ودلائل القدرة للذين خلصت قلوبهم من الأهواء والشهوات ، وتحكم التقاليد الباطلة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ .

ثم تصف أولى الألباب بصفتين ، هما الحبل المتين الذى يصل الإنسان بربه ويقيه شر المآثم والطغيان فى هذه الحياة : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ ، أى يذكرونه بعظمته وجلاله وقدرته فى جميع أوقاتهم ، وفى جميع شؤونهم ، ثم يكون هذا الذكر نتيجة لتدبرهم فى

خلق السموات والأرض وما فيهما من إتقان وإبداع، وعجائب وأسرار، فليس ذكرا ينطلق به اللسان، ولا يدفع إليه الجنان، إنما هو ذكر ينبع من القلب إلى سماء الرب، فيرفع همة صاحبه فينطلق لسانه بالدعاء وقلبه بين الخوف والرجاء: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيها لك عن الباطل في خلقك وفعلك وحكمك: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بدوام توفيقك وعنايتك. ثم يذكرون مآل غضبه سبحانه على الذين ظلموا الحق فأنكروا ربوبيته وكفروا برسالته، فيكون دعاؤهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾. ثم يؤكدون تلبيتهم لدعوة الحق التي ارتضاها لعباده على لسان نبيه، ويلتمسون منه المغفرة والإنعام عليهم بما وعد المؤمنين المخلصين فيكون قولهم : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾.

هذا موقف الذاكرين لربهم، المفكرين فيما خلق ودبر، عرف منهم الصدق في الإيمان والذكر والتفكير، والتنزيه، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾، لا تفاضل بينكم إلا بالعمل والتقوى، وقيام كل بما طلب منه.

ثم يذكر بعض أسباب النعيم وتكفير السيئات، والمثوبة الدائمة. ويخص أهم ما يطلب من المؤمن وقت ثورة الكفر على الإيمان، فيذكر الهجرة والإخراج من الديار، والإيذاء في سبيل الله، والقتال والقتل،

ويجعل هذه أبرز دلائل الإيمان، وأقرب ما يوصل الإنسان إلى ثواب الله ورضوانه: ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾.

تسلية وتوصية:

ثم أخذ يسليهم عما كلفوه من مشاق الجهاد، ويحذرهم الاغترار بتقلب الذين كفروا فى البلاد، ويؤكد لهم أنه متاع قليل، ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد.

أما المؤمنون الذين اتقوا ربهم فمأواهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.

ثم يرشد إحقاقا للحق إلى أن من أهل الكتاب الذين يحاربونكم ويناصبونكم العداء، طائفة تؤمن بالله، وتؤمن بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، خاشعين لله، لا يؤثرون دنياهم الفانية على رضا الله الباقى. ويبين أن هؤلاء لهم أجرهم عند ربهم وفى هذا إطماع لغيرهم من أهل الكتاب فى أن يعدلوا عن موقفهم من المؤمنين، وأن ينهجوا منهج إخوانهم الخاشعين لله، المحافظين على حدوده.

ثم تختم السورة بهذه الوصية الفذة، التى بها يتحقق الخير كله، وبها يعظم النصر ويحق الجزاء، ويتم الفلاح: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٣)

تمت الدراسة والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

---

(١٣) من هدى القرآن للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت. وزارة الثقافة. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة. الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص ٢٨ - ٣٢.

المراجـع

- أسرار التكرار فى القرآن «البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا. نوادر التراث (١) دار الاعتصام. الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م، ونوادر التراث (٢) دار الاعتصام. الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- الأمثال من الكتاب والسُّنّة لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى - تحقيق على محمد البجاوى. مكتبة دار التراث. د. ت.

- أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن. د. عبد الله شحاته. الهيئة المصرية العامة للكتاب. فرع الصحافة ١٩٩٨ .

- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامى. القاهرة ١٣٨٣ . الجزء الأول. الكتاب الرابع.

- الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. محمد محمود الحلبى وشركاه خلفاء. الطبعة الخامسة د. ت.

- فضائل القرآن للإمام أحمد بن شعيب النسائى - تحقيق د. فاروق حمادة. دار الثقافة. الدار البيضاء. الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلاّمة المناوى. توزيع دار إحياء السُّنَّة النبوية للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٥٧ هـ.

- من هدى القرآن للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت. وزارة الثقافة. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر. الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة التاسعة عشرة. القاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

سلسلة بحوث لغوية وقرآنية

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث الجزيرة للنشر والتوزيع

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت : ٢٥١٢٠٨٤٧